من قراءة القرآن وتسهيل فهمهم لمعانيه. ومما لايحتاج إلى إيضاح أن الأعجمي الذي يقرأ القرآن يرى أمام عينيه سلسلة كلمات مشكولة، بعضها مرفوع، وبعضها منصوب، وبعضها مجرور، وبعضها ساكن، فيرى ويقرأ هذه الكلمات قبل أن يفهم شيئاً من معانيها، فاذا اتخذ رفع الكلمة أو نصبها نقطة بدء لدرسه وبحثه فلا يكون قد سلك مسلكا مخالفاً للعقل والمنطق، من الوجهة العملية: فاذا قال: «هذا اسم مرفوع، وقع في أول الجملة فهو المبتدأ إذن ...» وهذا اسم مرفوع أتى بعد الفعل، فهو الفاعل إذن، يكون قد سار على خطة لا تجانب الصواب — من الوجهة العملية — بالنسبة إلى حالته الخاصة

غير أن الاستمرار على اتباع خطة مماثلة لهذه في هذا العصر ولا سيما في تعليم أبناء الضاد الذين يتكلمون العربية ويقرأون الكتب والجرائد والمجلات المطبوعة — لا يمكن أن أن يتفق مع مقتضيات المنطق بوجه من الوجوه، ويخالف أصول التربية والتعليم من كل الوجوه

إنني لا أجد سبيلاً لتعليلها إلا بارجاعها إلى تأثير الأحوال الخاصة التي أشرت إليها، وباعتبارها من تراث العصور القديمة التي نوهت بها. والمآخذ التي سأذكرها في بحث «العلامات» تؤيد هذا التعليل بوضوح أقوى

«يتبع» ساطع الحصري

كتاب المبشرين
الطاعن في عربية القرآن
أمسلم مصري أم مبشر برونستنتي ؟
لأستاذ جليل
— ٢ —

أراد الكاتب المسلم في تلك المجلة أن يتم إحدى الجريمتين — أعني جريمة اللصوصية — فأورد في تضاعيف أقوال المبشرين هذا المثل:

«ألسنا نقرأ قوله تعالى: (جنتان ذواتا أفنان[1]) ونراه يثني (ذات) بذواتا مع أن نحوياً يقول: إن مثنى ذات ذاتا»

«وقوله تعالى: (يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذاباً أليماً) فلا ندرك سر نصب الظالمين إلا عند ما يقول لنا المفسرون إنها منصوبة على التخصيص»

«وقوله تعالى: (ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين). فنسأل كتب النحو لماذا لم يقل طائعتين بدلاً من طائعين، وهو يخاطب مثنى والمجيب مثنى أيضاً، فلا تسعفنا كتب النحو بجواب وإنما يسعفنا المفسر بقوله: إن المجيب هنا هم سكان السماء والأرض فنفهم المعنى وإن اختلفت القاعدة»

إن تلاعب الكاتب بخلطه أقوالاً بأقوال لم يستر لصوصيته بل ثبتها تثبيتاً، وعالن بأنه خريج في الضلال والتضليل غير حاذق، ودل على أنه يجهل (النحو) الجهل كله و«قتلت أرض جاهلها[2]» وسأبين اليوم تخليطه ثم أجيء إلى كتاب المبشرين مغالط القرآن في العربية ...

* * *

قال الكاتب المسلم: «... مع أن (نحوناً) يقول إن مثنى ذات ذاتا»

(١) قلت: الأقوال الكريمة في (الكتاب) هي: «ولمن خاف مقام ربه جنتان. فبأي آلاء ربكما تكذبان. ذواتا أفنان»

(٢) قال الميداني: يضرب لمن يباشر أمراً لا علم له به

أقول : إن علم العربية (أي النحو) فى كتبه المختصرة وفى مؤلفاته الكبيرة يقول : إن مثنى ذات (ذواتان) وتقول مثل قوله المعجمات القديمة والمعجمات العصرية[1] المبثوثة فى كل مكان . و (ذاتان) قليلة جائزة فى الشعر ، وهى ليست بالقاعدة

قال (الكتاب) : « فانك تقول : ذووى ردّ إلى أصله ، لأن أصله فعل ؛ يدلك على ذلك قولهم ذواتان ، وكذلك الاضافة إلى ذاه ذوَوىّ »

وقال الرضى فى (شرح الكافية) : « وردّ لام ذات فى التثنية فقالوا : ذواتا مال ، وقد جاء أيضاً ذاتا مال وهو قليل »

وقال ابن منظور فى (لسان العرب) : « وتقول هى ذات مال وهما ذواتا مال ، ويجوز فى الشعر ذاتا مال والتمام أحسن » ونقل قوله الزبيدى فى (تاج العروس[2])

قال الكاتب المسلم : « ... فلا تدرك سر نصب (الظالمين) إلا عند ما يقول لنا المفسرون إنها منصوبة على التخصيص »

أقول : قد ذكرنى كلام هذا الكاتب بقول للعامة : « فلان من معرفته بالصحابة يترضى عن عنتر » وصاحبنا من تضلعه من النحو يخاط الخياط الذى ترى . وقد أوضحت الكتب المصنفة للصبيان (مثل الألفية وشرحها لابن عقيل) هذه (القاعدة) وعنوانها فيها : (اشتغال العامل عن المعمول) . قال سيبويه فى (هذا باب مايختار فيه إعمال الفعل مما يكون فى المبتدأ مبنياً عليه الفعل) : « رأيت عمراً وعبدَ الله مررت به ، ولقيت قيساً وبكراً أخذت أباه ، ولقيت خالداً وزيداً اشتريت له ثوباً . وإنما اختير النصب ههنا لأن الاسم الأول مبنى على الفعل فكان بناء الآخر على الفعل أحسن عندهم . ومثل ذلك : قوله عز وجل يدخل من يشاء فى رحمته والظالمين أعد لهم عذاباً أليماً »

وقال (المفصل) في (ما أضمر عامله على شريطة التفسير) : « فالمختار فى موضعين أحدهما أن تعطف هذه الجملة على جملة فعلية

قال شارحه ابن يعيش : « إذا كان النصب من غير تقدم فعل جائزا كان مع تقدمه مختارا إذ فيه تشاكل الجملتين ؛ قال الله تعالى : « يدخل من يشاء الآية »[1]

يقول الكاتب المسلم : « .. فنسأل كتب النحو لماذا لم يقل طائعتين .. »

قلت : لو سأل الكاتب (النحو) لأجابه ، ولو استهدى لهُدى ، لكنه كأنه فى مسطوره — فاهالفيه[2] — من (المصحيين ...) فهو « يلفت القول لفتاً[3] ماضيا على المخيّل » !

إن المثنى قد تبدي (جمعاً) إذ « أن المثنى جمع » كما قال الرضى شارح (الكافية) و « من حيث أن التثنية جمع فى الحقيقة » كما قال ابن يعيش شارح (المفصل) و « نظيره قولك : فعلنا وأنتما اثنان فتكلمُ به كما تكلم به وأنتم ثلاثة لأن التثنية جمع » كما قال كتاب[4] سيبويه : و «من سنن العرب إذا ذكرت اثنين أن تجريهما مجرى الجمع» كما قال الثعالبي فى (سر العربية ومجارى كلام العرب وسننها) وهذا من النحو — والنحو أنحاء — والذي حوّشته مصنفاته هو جزء من أجزاء ، وقد أبان ذلك العالم الشيخ (إبراهيم مصطفى) فى كتابه (إحياء النحو)

وقد قال (الكتاب) : « قالتا أتينا طائعين — ولم يقل طائعتين والسماء والأرض مؤنثتان لأن النون والألف اللتين هما كناية أسمائهما فى قوله : (اثنيا) نظيرة كناية أسماء المخبرين من الرجال عن أنفسهم فأجرى قوله طائعين على ما جرى به الخبر عن الرجال كذلك »

وإن قال جاهل سأل عمه أو خادم جوعان من خدام

---

(١) مثل (البستان) للشيخ عبد الله البستانى و (أقرب الموارد) للشيخ سعيد الشرتونى

(٢) جاء فى طبعة القاموس المحيط : « وهى فات وهما ذاتان » وهذا تطبيع وصوابه (وهما ذواتان) كما فى شرح القاموس

(١) قال الزمخشرى : « قرأ ابن الزبير (والظالون) على الابتداء وغيرها أولى لذهاب الطباق بين الجملة المعطوفة والمعطوف عليها » ، قال السكبرى : النصب أحسن لأن المعطوف عليه قد عمل فيه الفعل . وقال الشيخ ابرهيم اليازجى : يترجح نصب الاسم إذا وقع بعد عاطف ملتصق به على جملة فعلية نحو قام زيد وعمرا أكرمته طلبا للمناسبة المستحسنة فى العطف لأن النصب يقتضى اضمار الفعل فيكون عطف فعلية على مثلها بخلاف الرفع فانه يستلزم عطف اسمية على فعلية

(٢) أى فم الفاهية لفيه ونصبه على اضمار فعل

(٣) يرسله على عواهنه لا يبالى كيف جاء

(٤) وفى (الكتاب) : وسألت الخليل عن ما أحسن وجوههما فقال لأن الاثنين جمع وهذا بمنزلة قول الاثنين نحن فعلنا

المخترفين بالتبشير (التضليل) . هي السماء وهي الأرض فتأتيان طائعات لا طائعين فما لها والياء والنون — أجاب (النحو) فى الكتاب) : « وأما كل فى فلك يسبحون ، ورأيتهم لى ساجدين ، ويأيها النمل ادخلوا مساكنكم فبمنزلة من يعقل من المخلوقين ويبصر الأمور ، فجازهذا حيث صارت هذه الأشياء تؤمر وتطيع وتفهم الكلام وتعبد بمنزلة الآدميين » وقال ابن يعيش مثل هذا ؛ وقال (النحو) فى (شرح الكافية) : « يشبه غير ذوى العلم بهم فى الصفات إذا كان مصدر تلك الصفات من أفعال العلماء كقوله تعالى (أتينا طائعين) وقوله (فظلت أعناقهم لها خاضعين) (ورأيتهم لى ساجدين) ومثل ذلك فى الفعل : « وكل فى فلك يسبحون » وقال كتاب (أسرار العربية) لأبى البركان الانبارى : « فان قيل : من أين جاء هذا الجمع فى قوله تعالى : (فقال لها وللأرض الآية) ؟ قيل : لأنه لما وصفها بالقول والقول من صفة من يعقل أجراها مجرى من يعقل ، وعلى هذا قوله تعالى : (إنى رأيت الآية) لأنه لما وصفها بالسجود وهو من صفات من يعقل أجراها مجرى من يعقل ، فلهذا جمعت جمع من يعقل[1] » وفى (أسرار العربية) للثعالبى مثل ذلك

وذكر الكاتب المسلم فى هاتيك المجلة : « إن هذان لساحران » مشددا النون، وسلك فى القول الكريم المسلك الرائع المنحرف . وفى قول (الكتاب) قراءات : (إن هذين لساحران) (وإن هذان لساحران) وإن مخففة واللام هي الفارقة و (إن ذان إلا ساحران) و (أن هذان ساحران) بفتح أن وبغير لام بدل من النجوى ، و(إن هذان لساحران) والهاء مرادة والتقدير إنه هذان لساحران ، وحسنت اللام إذ كانت الجملة مفسرة للمضمر كما قال ابن يعيش . وقال الرضى : « وقد جاء ذان وتان واللذان واللتان فى الأحوال الثلاثة » ومما قاله فى (ذان) : « ذان صيغة مرتجلة غير مبنية على واحده ولو بنيت عليه لقيل ذيان »

* * *

(١) وفى هذا الكتاب : « وإن قيل : فلم جاء هذا الجمع فى الاعداد من العشرين إلى التسعين ؟ قيل : إنما جاء هذا الجمع لأن الاعداد لما كانت تقع على من يعقل نحو عشرين رجلا وعلى من لا يعقل نحو عشرين ثوبا غلب جانب من يعقل على مالا يعقل كما يغلب جانب المذكر على المؤنث فى نحو أخواك هند وزيد وما أشبه ذلك »

ذلك بيان نحو العربية (علم العربيه) — لا تفسير المفسرين — فى أقوال فى (كتاب العربية) وقد أطلت بما أوردت لكيما تعلن خربشة المخربشين وتخاليط المخاطين علانية ، وليعلم الجاهلون إما كانوا ينشدون هدى وعلما أن ليس ثم (نحوان) : نحو العربية ونحو(القرآن) ، إنما هو نحو (الكتاب)، وإنما هو نهج (الكتاب)، وإنما هو بلاغة (الكتاب) ، وإنما هى سنة (الكتاب) ، وإنما هى شرعة (الكتاب) . وهل أقام (قواعد) العربية ، وهل شاد مجد العربية ، وهل أبدع حضارة العربية ، وهل هدى الناس كلهم أجمعين إلا القرآن ؟

إنه (والله) لمن دواهى الدهر أن يصير أمامس فى الغباوة والجهل إلى حيث صاروا ، فنجبر أن نقعد نشرح الجلى كل الجلى ، وأن نقول مصوّتين فى الشرق ، فى مصر ، فى نهار غير مغيم ، فى رأد الضحى ، أو فى الظاهرة : هذه الشمسُ وهذا ضوؤها ، فانظروا ياناظرين ... !

الاسكندرية

« * * * »

منتخبات من بلاغة الغرب

الجزء الثانى

للأستاذ محمد كامل حجاج

... جلست بجانب محبها كفهد جبل ، خفيف الحركة ، يروق منظره ، ويروع مخبره ، وقد أسبلت غدائرها المسترسلة على قدميه، تنظره بعينين نجلاوين ناعستين توقدتا مما ارتسم فيهما من حب الشهوات التى يتنفيه طرفها المنبعث منه ضوء بهى متقطع كبرق خلب . وقد تصدت ذراعاها النقيتان الناعمتان عرفاً فاترا ، وتربعت على رجلين شائقتين ، لها عطفان مرتجمان ، يزريان بأعطاف الغزلان . متحلية بأساور وخواتم وأقراط من ذهب . وقد زهت بلونها الأسمر كنات (هطصور) ربة الجمال ، ودلت على نهديها تمائم قديمة ، وضايقتهما حلل سندسية شآمية ...

ألفريد دوفينيي